صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢٢١ الموافق في ربيع الثاني ١٤٢١ هجري ٢٠٠٠/٧ ميلادي

عنوان المقال : الطهو البشري –٩–	بقلم : د. سها عبد الحميد أحمد

بلقيس سبأ . . عبرة النبأ

ويضرب الله للنساء في كتابه العظيم أمثال الإحاطة والشمول لتتغذى من أحداث قصصه حكمةُ العقول .

وكما حدثنا عن حواء ويوكابد وهاجر وحنَّة وإشاع والبتول .. عن أم فجعت بابنيها أحدهما القاتل والثاني مقتول ..

وأم نفذت أمر الله وقذفت رضيعها في اليّم ، وكل ما سيصيب ولدها بعد تنفيذ الأمر بالنسبة إليها مجهول ..

ليروي لنا قصة المرأة عندما تشارك بالحكم وتمتطي صهوات الخيول

بلقيس تعلّمنا أن المرأة بإسلامها لا تحتاج لأن تُطرح كقضية بل هي مفاتيح القضايا وهي القادرة بأمومتها وعلمها .. بعاطفتها ويقينها .. بتربيتها ودعوتها أن تطرح لكل قضايا عالمنا الإسلامي المستعصية الحلول تلو الحلول .

بلقيس المرأة الحكيمة الفطنة .. الملكة

غلبت خصمها عمرو ذي الأزعار

لم ترض لنفسها أن تكون حاكمة دون رغبة الرعية الصادقة

وهذا أساس كل قيادة عادلة

نادت كبار القوم فأتاها ملوك حمير وأمراؤها ينصتون لبلاغتها ودعائم قوتها بآذان صاغية

عرضت فكرها وما تملكه من هبات القوة والحكمة لترشح نفسها قائدة

ولم يستنكر القرآن في سرده لقصتها اختيارها لتلك المهمة المشرفة

وما نزال إلى اليوم في عوالمنا المسلمة

نردد الموشحات الهازلة

نُعطل دور المرأة ونلغي صلاحياتها مؤكدين أنها تبع

ونستشهد على ما نقول بأحاديث لا نحتاج إلى بديهة خارقة للعادة لندرك أنها أحاديث موضوعة وكل معانيها كاذبة

وحتى اليوم هناك من يترحم على زمن يراه معتبراً

زمن خرجت المرأة فيه من خدر أمها إلى بيت أبيها

ومن بيت أبيها إلى بيت زوجها ، ومن بيت زوجها إلى المقبرة

والأدهى والأمرّ أن تبقى النساء لتلك المعاني المهدمة

مستسلمة وخاضعة وخانعة

❧ ❧ ❧

وهناك بايع القوم بلقيس في قصر غمدان

وولوها الملك عليهم بكل حب وامتنان

وغدت سبأ وسد مأرب في اليمن تعرف أنها الجنان

وكانت أهلاً للحكم ، وبلغت شهرتها أقاصي البلدان

سارت على رأس جيشها تقطع المسافات بكل ما فيها من جبال ووديان لتصل أرض بابل وتصارع أكاسرة الفرس ، فغدوا أمامها بمنتهى الخسران

حتى بلغت أرض نهاوند وأذربيجان

ويدون التاريخ نجاح قيادتها والسجلات الحرة خير شاهد وخير برهان

أمنٌ مستتب .. زراعة محمودة .. تجارة كالأسطورة

إبداع .. إنتاج .. تقدُّم ما عُرف له مثيل في العمران

ولروعة هذا العطاء أراد الله لها الخير فوصل نبأها للحكيم سليمان

في القدس كان داود وابنه سليمان يحكمان

وروايتهما بما أوتيا من العلم والحكمة والبيان

تخبر علماء اللغة خطأ تصورهم أن النطق خاص بالإنسان

بل كل مخلوقات الله تتحدث وتسبِّح حتى الحيوان

وإنما اللغة سماع وما تسمعه الأذن يحكيه اللسان

عُلِّمَ داود منطق الطير وورَّثَ النبوَّة ابنه سليمان

وسيبقى إلى الأبد تحدي الإعجاز متدفقاً من القرآن

وعِلم داود أنبأنا كم سيغتر بعقله الإنسان

ويحذرنا أن لا ينسى العبد مهما أوتي من العلم صاحب الفضل والإحسان

وها هي أضعف مخلوقات الله .. النملة رأت سليمان عن بعد

حذرت قومها بالهلاك بعد أن عرفت بقدوم جنوده من كل بد

فنطقت بحق .. وشهدت بحق

وها هو سليمان يفتقد الهُدهد

يبحث عنه ويستبعد غيابه

يغضب من فراغ فجوته ويقرر مخالفته

لتضيف لنا حكمة سليمان عبرة رائعة من عبر هذه القصة

ندرك من خلالها سراً من أسرار نجاح القيادة

مخالفة لا تقابل بجزاء تنجب مخالفات متسلسلة

فقال : لأعذبنه أو لأذبحنه أو ليمثلن أمامي بحجة تقتضيها المصلحة

وها هو الهدهد يخبر سليمان بما سمع ورأى

وعلى أنه طائر أدرك أنها لغير الله عابدة

هنا أطلق سليمان أوامره التي كانت لا محال نافذة

قرأت بلقيس الرسالة

أحست بعظم ثقل هذه المسؤولية ، فالحكم أمانة

ولإحاطة فكرها القيادي بأهم موازين السياسة

أعطت للشورى الصدارة ، فالقائد الحق يحترم حقوق الرعية

بلَّغت أعيان القوم وأشرافهم

بما أُلقي إليها من كتاب كريم

{ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }

وألا نعلو على الحق وأن نأتيه مسلمين للرب القادر العليم

فما فتواكم الحربُ أم السياسة ؟ أعينونني أن أُوفق لاختيار سليم

أكدوا لها ثقتهم برأيها وبأنهم لحكمها طائعون وأنهم أولوا بأس عظيم

أرسلت هديتها سفيرة لتنبئها عنه أملك هو أم أنه لمبادئ الحق زعيم ؟

أكدت بلقيس بحكمتها أن الملوك إذا دخلوا قرية جعلوا أعزة أهلها أذلة

وأكد الله صواب حكمتها فقال : { وكذلك يفعلون }

لنُبَلِّغ نحن العبرة بتأييد الله لعباده إذا سمع منهم كلمة حق وعلى الحق يحرصون

ولما عاد بهديتها المرسلون

وقالوا لها : ردَّها إلينا وقال : أنتم بهديتكم تفرحون

وهو آتينا بجنود لا قِبلَ لها بها وسيخرجنا منها ونحن صاغرين

هنا أدركت بحسها السياسي المعافى من كبر الملك وغرور السيادة

أنه نبيٌّ لقوم يهتدون

وأنه مرسل من مالك الملك المهمين الوارث القوي المتين

وهنا لا خيار للمرء وإنما الطاعة المطلقة لرب العالمين

❧ ❧ ❧

وهكذا المرأة العاقلة تكون دائماً لشعلة الدعوة إلى الله مجندة

حزمت بلقيس دولتها ولم يخطر ببالها أبداً أن تفتقد عرشها

احتوت رعيتها وسارت تلبي نداء الفطرة السليمة

أحضر سليمان عرشها وقال : نكروه لها وبدل بسؤاله كلمة

فما قال لها : أهذا عرشك ؟ بل أهكذا عرشك ؟

لتعاود بإجابتها له مثيل الكرة وبمنتهى الروعة

فلم تقل : إنه هو بل كأنه هو

وأكدت بلقيس لسليمان نظرته الصائبة

فلقد كان يعي إن كانت باختباره العقلي لها ناجحة

فهي بالتأكيد بالاختيار الإيماني متفوقة

❧ ❧ ❧

أيقنت بلقيس صاحبة الصرح الممرد أن الله هو الواحد الأحد الصمد

وأذعنت للحق .. كيف لا ؟

وأشرف كبرياء المرء أن يكون للهِ عبداً

وشهدت على نفسها أنها بغير عبوديتها لله نفس ظالمة

وخلاصة كل تجربة إنسانية تكمن في الخاتمة

وزبدة رقي هذه القصة الرائعة

تخبرنا سيدتي المرأة أنك تمتازين بعدالة المساواة المشرفة

لتختم بلقيس روايتها بالعبارة العظيمة العادلة

أسلمت يا سليمان معك لله رب العالمين

وكلانا في العقيدة سواء ، نفس لله طائعة

بلى سيدتي .. إنك بهذا الدين بكليتك مستقلة

كفاك فخراً أن تكوني لتبليغ هذه الدعوة مجندة

فامضي بثقة وإصرار على النجاح واستعيني بمعجزة بين يديك دائماً حاضرة

فمهمة التربية أن تكون لفكر الحاكم المعافى ولفكر الرعية منجبة ..

إنه الإسلام القوة الراقية

إنه الإسلام العدالة المطلقة

إنه الإسلام السياسة المتفوقة

وأنتِ الوعاء الذي تطهى به كل تلك المعاني السامية .